ملخص:

تتلخص هذه الدراسة في توضيح موقف طبقات المجتمع المصري من(اليهود، والأرمن، والشوام)[١]، والعناصر الأوروبية، من قيام الحرب العالمية الأولى(١٣٣٢هـ/١٩١٤م).

فمن الملاحظ اختلاف هذه المواقف كل حسب مصلحته، فكانت بعض المواقف المؤيدة للإنجليز في هذه الحرب للطبقات المتنفذة في المجتمع مثل الطبقة الحاكمة، وكبار الملاك، والعناصر الأجنبية، أما أبناء الطبقة الوسطى من مثقفين وأصحاب رأي فتقودهم وطنيتهم لرفض الوقوف بجانب المحتل، ورفضهم الزج بمصر وشعبها في حرب لا علاقة لهم بها، أما الطبقة المغلوبة على أمرها فهي طبقة الفلاحين التي تشكل معظم المكون الطبقي للشعب المصري، فكان موقفها موقف المحايد الذي لا حيلة له، ويسيرون وفق فلك الطبقات المتنفذة في البلد.

الكلمات المفتاحية: طبقات المجتمع المصري، العناصر البشرية الوافدة، الحرب العالمية الأولى.

(١) المقصود هنا بالعناصر الوافدة إلى مصر؛ هم من وفدوا إليها قبيل الحرب العالمية الأولى واثنائها، وكذلك العناصر الاجنبية التي حافظت على هويتها وثقافتها، ومنهم من اندمج مع المجتمع المصري وأصبحوا مصريين فيما بعد، وبالنسبة لليهود فهناك يهود مصريين وهم مكون اصلي مثلهم مثل المسلمين والأقباط كما سيأتي بيانه في هذه الدراسة.

Abstract:

This study is summarized in clarifying the positions of the classes of Egyptian society, and some foreign groups, such as: Jews, Armenians, Levant, and European elements from the First World War (١٣٣٢ AH / ١٩١٤ AD). It is noticeable that these positions differ according to their own interests. Some of the pro-British positions in this war were directed at the influential classes in society, such as the ruling class, the big owners, and foreign elements, while we find there are middle-class intellectuals and opinion-holders whose patriotism leads them to refuse to stand by the occupier, and not Throwing Egypt and its people into a war that has nothing to do with it. As for the defeated class in the peasant class, which constitutes most of the class component of the Egyptian people, its neutral, peaceful and helpless position was based on the orbit of the influential classes in the country.

Key words: The classes of Egyptian society, Expatriate human Elements, The First World War.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد:

أعلنت بريطانيا الحماية على مصر عام(١٣٣٢هـ/١٩١٤م) وقد شهدت هذه الفترة ضغوطاً كبيرة على المجتمع المصري نتج عنها تبايناً في مواقفهم وعلاقتهم مع الإنجليز، وعلى اثرها تحددت مواقفهم من الحرب العالمية الأولى، وقد تم تقسيم الشعب المصري في الدراسة إلى طبقاته الأصلية، والى العناصر الوافدة ذات الدور البارز في فترة الدراسة؛ لتكون المواقف أكثر وضوحاً، وتحديد موقف كل طبقة على حدة، فنجدهم بين مؤيد، ومعارض، ومحايد، وهذه المواقف بحاجة لشيء من التحليل للوقوف وراء دوافعهم من اتخاذ هذه المواقف، فالمؤيد تجبره مصلحته على ذلك، والمعارض الساخط هو ضحية تعرض للأذى من ممارسات الاحتلال، أما المحايد فلقلة حيلته اتخذ هذا الموقف، ومن ذلك كان عنوان هذه الدراسة: (موقف طبقات المجتمع المصري من قيام الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)

تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على هذه الطبقات الاجتماعية، ومواقفها من قيام الحرب العالمية الأولى، ومن ثم الحكم على تلك المواقف، والدافع من وراءها.

ومن أهداف الدراسة:

١. توضيح طبقات المجتمع المصري في فترة الدراسة.
٢. ابراز موقف كل طبقة من الحرب العالمية الأولى.
٣. توضيح الدوافع من هذه المواقف.

وأهم ما تناولته هذه الدراسة: إلقاء الضوء على طبقات المجتمع المصري في فترة الدراسة، وهي على هذا النحو:(الطبقة الحاكمة، وطبقة كبار الملاك، والطبقة الوسطى من مثقفين وتجار، وطبقة الفلاحين ثم العناصر الأجنبية الوافدة)، مع توضيح موقف كل طبقة، والأسباب وراء هذه المواقف، وطريقة الإنجليز في التعامل مع هذه الطبقات بما يخدم مصالحها، ومن ثم خاتمة للبحث تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

واعتمدت الدراسة على عدة وثائق، ومصادر، ومراجع، ودوريات، ورسائل علمية ومن أهمها كتاب لورد كرومر(Cromer) مصر الحديثة وهو في مجلدين، وقد تعرض لكثير من الجوانب الاجتماعية في مصر في بداية القرن العشرين، ومن المصادر المهمة ايضاً كتاب آغا خان ومهمته في مصر بداية الحرب العالمية الأولى للدكتور فاروق أباظة.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث؛ عدم وجود دراسات سابقة تناولت الموضوع بشكل مستقل، فاستخراج مواقف الطبقات بالذات كان من بين الأسطر، وباستنتاجات الباحث من خلال سياق الأحداث.

أولًا: مواقف طبقات الشعب المصري من الحرب العالمية الأولى:

لقد قام الإنجليز منذ عام(١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م) بالتمهيد التدريجي للسيطرة على مصر سيطرة كاملة، وكان لهم ذلك عام(١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) بإعلان الحماية عليها؛ حيث اتخذت عدة إجراءات كان من شأنها التأثير المباشر على موقف الشعب المصري أثناء فترة الحرب وبعدها، وأول ما قامت به أنها فصلت مصر عن التبعية القانونية للدولة العثمانية؛ بإلغاء بنود اتفاقية عام (١٢٢٦هـ/ ١٨٤٠م)، التي كانت تنص على بقاء مصر تحت الحكم العثماني قانونياً، ومنحها استقلالاً ذاتياً[١]، ويبدو أن هذه الخطوة التي اتخذها الإنجليز لم تؤثر كثيراً في الشعب المصري؛ لأنه تعود على الاستقلال عن العثمانيين منذ زمن محمد علي باشا، وأصبح ولائهم لحكامهم من أسرته، ولم يبق إلا التبعية الإسمية للعثمانيين، ولو أن ذلك له بعض التأثير الوجداني على بعض المسلمين لما تحمله الدولة العثمانية من رمزية دينية عندهم باعتبارها تمثل الخلافة الإسلامية عندهم، كما سيفقتد الموالون لها وخاصة من الأتراك تلك الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها، ولكن المؤلم هنا وقوع مصر وشعبها تحت رحمة الاستعمار مهما نمقت كلماته بحماية أو ما شابه، فقد سلبهم بلادهم، وحريتهم، وأرزاقهم واصبحوا تحت رحمته، ومن الإجراءات أيضاً إعلان الاحكام العرفية في البلاد واستبدال الحكم العسكري بالحكم المدني[٢]، وإغلاق الجمعية التشريعية، وكتم الحريات السياسية والصحفية[٣]،كما سيطر الانجليز، والعناصر الوافدة على الاقتصاد المصري، وضيقوا على التجار المصريين، والعمال، والفلاحين.

والواضح أن الهدف من هذه الممارسات هو كبح جماح الشعب المصري، وتقييد حريته، وحركته في البلاد وخارجها، حتى يتسنى للإنجليز السيطرة التامة على مصر، والتفرغ لمواجهة أعدائها في الحرب، وبطبيعة الحال كان لسطوة المحتل الدور الأكبر في تشكيل مواقف طبقات الشعب المصري من الحرب العالمية الأولى، وما نتج عن ذلك من الأضرار الجسيمة بالطبقات المتوسطة والفقيرة، وقد تمخض عن هذا انفجار الشعب المصري بعد نهاية الحرب فقد كان لهذه الطبقات صوتها وتأثيرها في المشهد السياسي لمصر[٤].

---

(١) لبيب، يونان: **المرجع في تاريخ مصر الحديث**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٤٠٤.

(٢) الوقائع المصرية، مكتبة الإسكندرية، ١٨٨٢/٧/١١م.

(٣) صبري، محمد: **تاريخ مصر الحديث**، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦م، ص٢٣٨.

(٤) **Egyptian National Archives:E.S.R.&T.-١٦٧٥-١٥-٦.**

وستتناول الدراسة مواقف هذه الطبقات على النحو الآتي:

١.الطبقة الحاكمة:

بالعودة إلى العام(١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م) نجد أن الخديوي توفيق كان مرتميا في أحضان الإنجليز، فقد استخدموه كأداة للسيطرة على مصر وقمع شعبها والتدخل السافر في شؤونها[١]، وبعد وفاته تولى عباس حلمي الثاني الحكم عام (١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م)، ورغم حماسته في التخلص من سيطرة الإنجليز إلا أنه لم يكن يملك من أمره شيء، فكان منفذا لما يطلبونه منه، ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما تولى الحكم عزل رئيس الحكومة مصطفى فهمي الذي كان مؤيداً للإنجليز، وعين مكانه حسين فخري مما أغضبهم، واجبروه على عزل فخري وتعيين رياض باشا[٢] مكانه، ولم يرض الإنجليز عنه إلا بعد أن قدم اعتذاره لهم بمشورة من رياض باشا[٣] ويصف الخديوي عباس في مذكراته بعضاً من ممارسات الإنجليز المتسلطة، وما كان يعانيه شخصياً منهم؛ فقد كان اللورد كرومر(١٨٨٣-١٩٠٧)[٤] المندوب والقنصل العام لحكومة بريطانيا يقول بهذا الشأن:" ولاشك أن كرومر قد اعتبر أن خديوي مصر، لم يكن هناك إلا لكي ينفذ القرارات التي تمليها وزارة الخارجية البريطانية .."[٥]، من ذلك يمكن معرفة تلك المعاناة التي يعانيها الخديوي من تسلط الإنجليز عليه وعلى بلاده.

واستمر عباس حلمي في حكم البلاد حتى عام(١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) يقول في مذكراته:" وكنت في تمام نضجي حين انتزعوه مني – الحكم- بمناسبة الحرب الأوربية العظمى في عام ١٩١٤م والتي لم تكن تتعلق أبداً بمصر..."[٦]، وقد عزله الإنجليز بحجة وقوفه مع أعداء بريطانيا، ونصبوا الأمير حسين كامل [٧] سلطاناً على مصر في الفترة ما بين الفترة (١٣٣٢هـ- ١٩١٤م/١٣٣٥هـ-

---

(١) عيسى، شحاته: **الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر**، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة٢٠١٥م، ص٤٥.

(٢) **محمد رياض باشا**، من كبار السياسيين المصريين توفي (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) بمدينة الإسكندرية، للمزيد أنظر: زكي، أحمد، كلمة على رياض باشا، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٢م، ص.ص١٢-١٦.

(٣) عيسى: المرجع السابق. ص.ص١٠٠-١٠٣.

(٤) **اللورد كرومر**: (١٨٤١/١٩١٧) كان له الدور الأكبر في تثبيت دعائم الاحتلال الإنجليزي في مصر حيث عمل بعدة وظائف كبرى من (١٨٨٣/١٩٠٧) وأهمها القنصل العام لبريطانيا في مصر. للمزيد انظر كرومر: **مصر الحديثة**، مج٢، ترجمة [صبري محمد حسن] ، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٥م، ص١٩.

(٥) الخديوي، عباس حلمي، عهدي(مذكرات)، ط١، دار الشروق، القاهرة١٩٩٣م، ص٥١.

(٦) المصد السابق، ص.ص٥٥-٥٦.

(٧) هو حسين كامل بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا، ولد بمدينة القاهرة في(١٩ صفر سنة ١٢٧٠هـ، =الموافق(٢١ نوفمبر ١٨٥٣)، وفي ١٩ ديسمبر ١٩١٤ نصبه الإنجليز على حكم مصر ولقب بالسلطان خلفًا لابن أخيه عباس حلمي، توفي١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧م. للمزيد أنظر: الهلال، ج٤، س٢٣، ع يناير١٩١٥م، ص.ص٢٦٨-٢٧٣.

١٩١٧م) [١]، بعد أن أعلنت الحكومة البريطانية الحماية على مصر في١٨ديسمبر ١٩١٤م[٢].

وعن موقف الأسرة الحاكمة في مصر يقول أحد الباحثين:" **وهنا نرى نظاماً خديوياً ترتبط مصالحه مع مصالح بريطانيا...**"[٣]، ومن هنا يمكن تحديد موقف الحاكم بتأييده للإنجليز في الحرب بدافع المصلحة المشتركة حتى وإن كان مجبراً على ذلك.

ومما سبق نستنتج مدى سيطرة الإنجليز على الأسرة الحاكمة في مصر تنصب من أرادت وتعزل من تشاء، ويهدفون من الإبقاء على الحاكم من أسرة محمد علي؛ لإضفاء الشرعية على حكمهم للبلاد[٤]، لتنفيذ مشاريعهم الاستعمارية من خلاله، وحتى لا يثيرون حفيظة الشعب المصري المصري عليهم، فنجد أن الحاكم المصري لم يكن يملك من أمره وأمر بلاده شيء، وإنما ينفذ ما يطلبه الإنجليز منه دون تردد ويعود ذلك إلى:

١. تمسك الأسرة الحاكمة في مصر بامتيازاتها؛ من سلطان، وجاه، وأملاك ولو على حساب المصلحة الوطنية للشعب ، ولعل ذلك يظهر جلياً في موقف الخديوي توفيق من الإنجليز.
٢. السيطرة المطلقة للإنجليز على كافة مقدرات البلاد ، فمن المنطقي ان تقف الأسرة الحاكمة في مصر مع توجه الإنجليز قبل وأثناء الحرب ولو من منطلق مقولة "مكرها اخاك" لا بطل؛ لضمان بقاء الحكم في سلالتهم، وحفاظاً على مصالحهم الشخصية؛ لذلك فمن الحماقة الوقوف عكس التيار الإنجليزي.

---

(١) صبري: **تاريخ مصر الحديث**، ص٢٣٨.الرافعي، عبدالرحمن: ثورة١٩١٩م **تاريخ مصر القومي من (١٩١٤/١٩٢١م)**، دار المعارف، ط٤، القاهرة، [د.ت]، ص٣٢.

(٢) وثيقة من مكتبة الإسكندرية، منشورة على الرابط:
http://modernegypt.bibalex.org/NewTextViewer.aspx?TextID=DC_٢٠٠٦٩&keyword=١٩١٤

(٣) الدرديري، عمر: **الحرب العالمية الأولى عرض مصور**، دار العلم للملايين، بيروت.ص٢٣٠.

(٤) مذكرات عباس حلمي، مصدر سابق، ص٥٦.

موقف الحكومة المصرية:

كان موقف الحكومة المصرية من الحرب محايداً في بدايتها فقد أعلنت حيادها الكامل، واجتمعت الحكومة المصرية لنقاش ذلك برئاسة حسين رشدي(١٩١٤/١٩١٩م)[١] لمناقشة هذا الأمر في ١٩١٤/٨/٣م وخرجوا بعدة توصيات يجب مراعاتها في الموانئ المصرية بشأن سفن القوى المتحاربة؛ لضمان حياد قناة السويس، وقد نُقل عن جريدة المقطم :" أهم ما تتجه إليه الأنظار في هذه الحال بقاء مصر على الحياد..."، وهي هنا تعبر عن موقف الحكومة المصرية، كما ترى- المقطم- احتماليه كسر هذا الحياد لأن البلاد تقع تحت الاحتلال البريطاني، وفي المقابل فإنها مسؤولة عن حمايتها من أي هجوم محتمل من الألمان فإن المطلوب من مصر " أن تؤيد الجيش البريطاني الذي يدافع عنها إذا اقتضى الحال ذلك"[٢].

وقد أبدى الألمان عدم ارتياحهم لحياد مصر في الحرب؛ فقام القنصل الألماني بمناقشة رشدي حول الموضوع؛ حيث ذهب إليه في قصر بولكلي بالإسكندرية وأستفسر منه عن معنى حياد مصر، ولم يجبه رشدي في حينه ووعده بالرد في وقت آخر؛ ليتسنى له مناقشة النظار- الوزراء- حول الموضوع[٣]، ويعد هذا الموقف من المانيا غير منطقي بعض الشيء؛ لأنه لا يمكن خروج مصر عن طوع المستعمر الإنجليزي فمن المستحيل أن تسمح لها بالانضمام لدول المحور بزعامة المانيا، فبقاءها على الحياد على أقل تقدير يعد خياراً مناسباً لهم ايضاً، والجدير بالذكر فإن تشكيل مجلس النظار –الحكومة- برئاسة رشدي مع حقيبة الداخلية، ومعه سبعة نظار، بعد صدور مرسوم من الخديوي عباس حلمي في ١٩١٤/٤/٥م[٤]، وقد عين لفترة ثانية لرئاسة النظارة في عهد السلطان حسين كامل بمرسوم منه في١٩١٤/١٢/١٩م[٥].

وقد مارس الإنجليز كل وسائل الضغط على رشدي باشا للانخراط في الحرب والخروج عن الحياد، وبالفعل خضع رشدي لهذه الضغوط، وتم إصدار قراراً في الخامس من اغسطس ١٩١٤م، بانضمام مصر لجانب الإنجليز في الحرب مقابل وعود وتعهدات من الحكومة البريطانية بحصول

---

(١) حسين رشدي بن طبوزاده محمد حمدي باشا، من كبار رجال السياسة في مصر، ولد بالقاهرة عام(١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)، تولى وزارة الحقانية، ثم رئاسة النظار سنة١٩١٤م. للمزيد انظر: الزركلي، الاعلام، ج٢، دار العلمين، بيروت٢٠٠٢، ص٢٣٧.

(٢) أبو عرجة، تيسير: **المقطم جريدة الاحتلال البريطاني بمصر**، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة ١٩٩٧م، ص.ص٩٨-٩٩.

(٣) سالم، لطيفة محمد: **مصر في الحرب العالمية الأولى**، دار الشروق، القاهرة٢٠٠٩، ص.ص٢٥-٢٩.

(٤) **من وثائق، دار المحفوظات، سراي عابدين، رقم ٣٤، في ١٩١٤/٤/٥م.**

(٥) **الوقائع المصرية، مكتبة الإسكندرية، ١٩١٤/١٢/١٩.**

مصر على استقلالها، ولكنها تملصت من ذلك بعد نهاية الحرب[١]، وهذا القرار قدر أثار حفيظة المانيا وحلفاءها: "المجر والنمسا" بدعوى أنه لا يحق لمصر اتخاذ أي قرار فيما يخص الحرب، ويرون ذلك غير شرعي لأنها قانونياً تابعة للدولة العثمانية المحايدة حين ذاك [٢].

وعن مشاركة الجيش المصري في هذه الحرب بجانب الإنجليز؛ نشرت المقطم خبراً عن وصول السير ريجنالد تونجت (Reginald & Twinjet) ؛ لتولى القيادة العليا للجيش الإنجليزي والمصري[٣]، وهذا يعطي دلالة واضحة على مشاركة الجيش المصري في الحرب بضغط إنجليزي بطبيعة الحال بحجة الدفاع عن مصر!، وكانت بداية تلك المشاركات منذ اغسطس١٩١٤م، بإرسال فرق من الهجانة لاستطلاع شواطئ قناة السويس وعمل دوريات مستمرة لمراقبة الوضع، وبعد عدة أيام من إعلان الأحكام العرفية من قبل الاحتلال أرسلت فرقة من الجيش المصري للقناة لخوض غمار هذه الحرب ضد العثمانيين، فقد ساهم الجنود المصريون في هزيمتهم على القناة في ١٩١٥/٢/٣م[٤]، كما شاركوا في جبهة دارفور المؤيدة للعثمانيين، فصدر أمر في١٩١٦/٢/١٢م بتحرك فرقة مصرية إلى هناك بقيادة مجموعة من الضباط المصريين، وتمكنت من دخولها وقتل سلطانها، وقد فقت الفرقة المصرية عدداً من ضباطها وجنودها في هذه المعركة[٥]

مما سبق، يمكن القول: أن رشدي كان يرغب بالمحافظة على حياد مصر في هذه الحرب؛ ليضمن أقل الأضرار الممكنة التي قد تصيب مصر وشعبها ولكن نتيجة للضغط والسيطرة البريطانية لم تدع له ولحكومته الخيرة من أمرهم؛ إلا الانصياع لقوة المستعمر فنجد أنهم لا يختلفون كثيراً عن موقف السلطان؛ فكانت منفذةً لأوامر الإنجليز، وفي اليوم الذي عزل فيه عباس حلمي وتولى حسين كامل الحكم أبقى الإنجليز على حكومة حسين رشدي باشا كما هي بنفس تشكليها الوزاري، والغيت وزارة الخارجية لتصبح إدارتها من شأن الإنجليز[٦].

من ذلك نجد أن الحكومة المصرية برئاسة حسين رشدي تسير في ركب الإنجليز مؤيدة لهم، فلو لم تكن كذلك لم يبقوا عليها رغم تغييرهم لنظام الحكم في البلاد، ودليل ذلك أن الإنجليز طلبوا من رشدي باشا قطع جميع العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الدول المعادية للإنجليز في الحرب

---

(١) Documents of Muhammad Mahmud Pasha.MM٤/٤٤

(٢) المرجع السابق، ص.ص٢٦-٢٩.

(٣) المقطم: عدد١٩٥٢/٣/٣م أنظر أبو عرجه، كتابه السابق، ص٩٩.

(٤) لطيفة: مرجع سابق، ص.ص٢٣٧-٢٣٨.

(٥) ديوان رئاسة الوزراء، دفتر وارد، أرقام ٢٢٩٧،٢٥٢٧،٢٥٨٢، من ٢٣مارس١٩١٥ حتى٢٩مايو١٩١٧م. انظر: لطيفة، المرجع السابق، ص٢٣٩.

(٦) الرافعي، المرجع السابق، ص٣٩.

فما كان منه إلا التنفيذ[١]، ومن الأمثلة على طاعة الحكومة المصرية للإنجليز أن وزير الأوقاف المصري نفذ طلبهم بتعيين موظف إنجليزي في وزارته مسؤولاً عن هندسة المياه بالأوقاف، رغم أنها وزارة تقتصر على المسلمين فقط[٢].

ومن الأدلة على تبعية الحكومة للإنجليز أيضاً؛ أنه في تلك الفترة الحرجة لم يقدم وزيراً واحداً استقالته، وكذلك لم تعترض الحكومة على أفعال الإنجليز، وحتى الجمعية التشريعية التزمت الصمت حيالهم؛ بل أن وكيلها سعد زغلول باشا كان من مستقبلي أول منتدب سامي بريطاني السيرهنري مكماهون (Henry McMahon) (١٩١٥م/١٩١٧م)، وقال زغلول عند استقباله له " إن دلائل الخير بادية على وجهه"[٣].

والملاحظ أن الموقف الرسمي المصري كان مؤيدا للإنجليز في الحرب، وليس ذلك دليلا على خيانة مُبيّته أو قلة وطنية؛ بل اجبرتهم الظروف على هذا الموقف ولو من وراء قلوبهم، فقد يُلتمس لهم العذر أحيانا لأنهم وقعوا تحت سلطة المستعمر الذي لا يرحم، وربما أنهم لم يستوعبوا ما حدث فعلاً لتسارع الأحداث وهياجان نار الحرب، ولا يمكن التشكيك في نوايا الكل من ممثلي السلطة المصرية، فمثلا موقف سعد زغلول من استقبال مكماهون لا يمكن وصفه بالخيانة؛ لأن زغلول كان من قادة المقاومة الوطنية والثورة عام ١٩١٩م، فموقفه في البداية ربما أنه انخدع كما انخدع غيره في الإنجليز ووعودهم الكاذبة، وعندما تكشفت الحقائق كان من قادة الثورة ضدهم، والحال ينطبق على رئيس الحكومة حسين رشدي فربما كان يرى في مسايرة المحتل تحقيق ولو الحد الأدنى من رعاية مصالح مصر، وبعيداً عن المصالح الشخصية فقد يرى بعض الساسة المصريون أن من مصلحة بلادهم بقاء حكومتها كما هي وبذات الموقف مع الإنجليز؛ لأنها لو تغيرت الحكومة فلن يتغير شيء، وسيأتي الإنجليز بحكومة أخرى تسير وفق هواهم، وقد تضم وزراء وأعضاء غير مصريين، وتكون أكثر سوءاً من الحكومة الحالية.

---

(١) لبيب: المرجع السابق، ص٤٠٥.

(٢) لطيفة: المرجع السابق، ص١٩٥

(٣) الرافعي: المرجع السابق، ص.ص.٣٩-٤٠.

٣. طبقة كبار الملاك.

والمقصود هنا بالملاك؛ هم مُلاك الأرضي الزراعية، ويدخل مع هذه الطبقة الأسرة الحاكمة حيث سيطرت أسرة محمد علي على مساحات شاسعة من أرضي الدولة عبر تاريخ حكمهم لمصر، فقد فاقت أراضيهم في نهاية القرن التاسع عشر المليون فداناً[١]، ويشترك معهم في ذلك أبناء الطبقة الأرستقراطية؛ حيث كانوا يمتلكون مساحات كبيرة من الأراضي، والقصور، والأموال، فعباس حلمي مثلا كان قبل عزلة عام (١٣٣٢هـ /١٩١٤م ـ) من كبار ملاك الأرضي الزراعية في مصر[٢].

ومن ضمن كبار الملاك من عرفوا " بالأتراك المصريين"[٣]، أو الذوات، أو الباشوات [٤]، ومن الطبيعي أن يكون كبار الملاك من الأتراك الذين وفدوا إلى مصر على فترات من الحكم العثماني وبالذات في عهد محمد علي باشا وخلفائه؛ حيث اعتمدوا عليهم كثيراً في حكم البلاد، وتوارث أبنائهم وأحفادهم هذه الأملاك[٥]، ويعد من يملك أكثر من خمسين فدناً من كبار الملاك، ففي إحصائية عام(١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) كان عدد كبار الملاك(١٢٤٨٠)، وتبلغ مساحة الأراضي حوالي (٢،٣٩٦،٩٤٠) فداناً إي بنسبة تقدر بحوالي٤٤% من مساحة الأرضي الزراعية في مصر[٦]، ومن هذه الإحصائية يظهر مدي سيطرة قلة من الملاك على حوالي نصف الأرضي الزراعية في مصر! وفي ذلك استبداد وظلم لبقية الفلاحين، فبالعودة إلى إحصائية عدد السكان في مصر عام (١٣٣٥هـ /١٩١٧م) والمقدر عددهم بحوالي (١٢,٧١٨,٢٥٥)[٧]. أي أن ما نسبته ١٠% تقريباً من سكان مصر يملكون النصف تقريبا، و٩٠% من الفلاحين يتشاطرون النصف الأخر! وبناءً عليه تعد هذه الفئة من أصحاب المصالح الكبرى في البلاد فهم يخشون على أملاكهم ومصالحهم من الضياع إما بمصادرتها من قبل المحتل، أو بوضع اليد عليها من أصحاب النفوذ في مصر، فمن الطبيعي أن تكون علاقتهم مع الإنجليز علاقة جيدة بما يحفظ لهم مصالحهم، فنجد أن

---

(١) عباس، رؤوف، والدسوقي، عاصم : **كبار الملاك والفلاحين في مصر(١٨٧٣/١٩٥٢م)** [د.ن]، [د.م]، ص٧٣.

(٢) لبيب: المرجع السابق، ص٣٩١.

(٣) وهم نتيجة لتزاوج الأتراك مع المصريين فظهر جيل جديد عُرف "بالبازراميد" ويعدون من الطبقات المرموقة في المجتمع المصري، وعرّفهم كرومر "بالأتراك المصريين" والذين برزوا بعد عام(١٢٩٩هـ/١٨٨٢م). كرومر: المصدر السابق،ص.ص٢١٤-٢١٥.

(٤) المصدر السابق، ص٣٩١.

(٥) المصدر السابق: ص٣٩٢.

(٦) لطيفة: المرجع السابق. ص١٩٣.

(٧) مورو، محمد: يا اقباط مصر انتبهوا، المختار الاسلامي، القاهرة[د.ت]. ص١٦.

السلطات الإنجليزية دعمت هذه الفئة؛ ليستغلوها في تكريس حكمهم، فكانت مطالب هذه الفئة السياسية لا تتعدى المطالبة بالحكم الذاتي في ظل الاحتلال الإنجليزي[١]، ورغم ما تعرضوا له من خسائر ماليه أثناء الحرب؛ بسبب تدهور أسعار القطن، إلا أنهم استمروا في تأييد المحتل رغم خسارتهم[٢]، ويبدوا أن وجهة نظرهم واضحة بأن الأموال قد تعوض بعد نهاية الحرب، ولكن الأهم المحافظة على أملاكهم.

٣. الطبقة الوسطى:

المثقفون:

وتتألف هذه الفئة من المحامين، والأطباء، والصحفيين، والمعلمين، والطلاب؛ واغلبهم ممن تعلموا واحتكوا مع الحضارة الغربية، وكان لهم دوراً في الأوضاع السياسية بمصر قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى[٣]، ولعل أهم هؤلاء المثقفين ما وصفهم كرومر" بالمصريين المتأوربين"[٤]. ويقصد الطلاب المصريون الذين تعلموا في أوروبا، وتأثروا بالحضارة الغربية، ولكنه يصفهم بالعداء لتلك الحضارة ومن المناهضين لها بعد عودتهم لمصر شأنهم شأن عامة المصريين بقوله: "**إن هذا المصري المتأورب يعود إلى مصر فيتحول بالقدوة والمثل إلى داعية لمعاداة الأفكار الأوروبية...**"[٥]، كما كان لهؤلاء المثقفين دوراً هاماً في الحركة الوطنية ومناهضة الاحتلال، في فترة الحرب وما بعدها ففي إحدى الوثائق التي توضح جانباً من تلك المواقف المناهضة لاعتقال السياسيين الوطنيين؛ فقد أرسل نواب ومثقفو وتجار اسيوط تلغرافًا للديوان السلطاني في١٠/٣/١٩١٩م يبدون فيه رفضهم واحتجاجهم لتلك الممارسات[٦]، وهم بذلك حلو مكان مشايخ الأزهر في تبني الدور الوطني[٧]. ومن ذلك يمكن وصف موقف المثقفين من الإنجليز أثناء الحرب أنهم غير مؤيدين لهم، وحق لهم ذلك بعد أن سلبتهم حقوقهم وأحرمتهم من الوظائف، وابطئت من وتيرة التعليم في البلاد؛ فقلصت المدارس حتى بلغ عددها عام ١٩١٤م إلى(٦٨) مدرسة حكومية لأكثر من تسعة ملايين مصري[٨]، وهذا العدد من المدارس يعد ضئيلاً جداً بالنسبة لحجم السكان،

---

(١) لطيفة: المرجع السابق. ص١٩٣.

(٢) المرجع السابق. ص١٩٤.

(٣) لبيب: المرجع السابق.ص٣٩٢.

(٤) كرومر: المصدر السابق.ص٢٩٧.

(٥) المصدر السابق. ص٢٩٢.

(٦) ENA: E.S.R.-٢٣٠٠-٤-٥-١٠٠-٢٠٠٠.

(٧) لطيفة: المرجع السابق. ص١٩٥.

(٨) لبيب: المرجع السابق. ص٣٩٣.

ويهدف الإنجليز من ذلك للحد من المتعلمين والمثقفين المصريين، ويضيف كرومر "**إن فئة المصريين المتأوربين كانت كارهة لكل ما هو إنجليزي**"[١]، ويعد هذا الكره تراكميا منذ عام١٨٨٢م وزادت حدته قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى نتيجة لتزايد الضغوط الإنجليزية على هذه الفئة من كتم لحرياتهم وخاصة الصحفيين والمحامين، وحرمان البقية من المتعلمين من الوظائف، واحلال الأجنبي مكان المصري فيها[٢]، فقد زاد عدد المفصولين في هذه الفترة، فعلى سبيل المثال: فقد فُصل من وزارة الاشغال ٥٠٠موظف[٣].

كما نمت بين المثقفين من شعراء وكتّاب في فترة ما قبل الحرب وأثنائها؛ النزعة الوطنية ومن مظاهرها العودة إلى الامجاد المصرية القديمة فهذا أحمد شوقي يكتب عن مصرع كليوبترا[٤]، وله العديد من القصائد التي تسير في نفس الاتجاه، واشترك معه حافظ إبراهيم في هذا النهج[٥].

وكان دور الصحافة والصحفيين بارزاً رغم محاولة الإنجليز توجيه الصحافة لما يسير في مصلحتهم، ومعاقبة الصحفيين أصحاب النزعة الوطنية، إلا أن الصحافة المصرية كانت في أوج عطائها؛ حيث بلغ عدد الصحف والدوريات (٢٨٢) الصادرة حتى عام(١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ولم يكن ينتظم منها في الاصدار إلا ست صحف أهما الأهرام والمقطم[٦].

ونستنتج من هذه الظروف والمعطيات أنها صنعت موقف المثقفين غير المؤيد للمحتل في جميع الأحوال، وكان هم هذه الفئة المتنورة هو الخلاص من كابوس الاحتلال، ونيل حريتهم، وكان الإنجليز يعون خطر هذه الفئة عليهم فحاربوها بكل الوسائل، ولكنهم فشلوا في الحد من هذا الخطر عليهم فعند قيام ثورة ١٣٣٧هـ /١٩١٩م كان المثقفون المحرك الاساسي لها [٧].

---

(١) كرومر: المصدر السابق. ص٢٩٧.

(٢) MM٩/٤٢

(٣) لطيفة: المرجع سابق. ص١٩٦.

(٤) شوقي: أحمد، مصر كليوبترا، هنداوي، القاهرة٢٠١٢م.

(٥) لبيب: المرجع السابق. ص٣٩٥.

(٦) المرجع السابق. ص٣٩٦.

(٧) عبد الرازاق، عبدالله، والجمل، شوقي: **تاريخ مصر والسودان الحديث**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م. ص٢٨٧.

التجار:

كان من أولويات الإنجليز منذ العام١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م؛ السيطرة على الاقتصاد المصري، ومع بداية الحرب العالمية الأولى سأت أحوال تجار مصر، بمنعهم من الإتجار مع الخارج، وإحلال التجار الأجانب مكانهم، وأحلوا البضائع الإنجليزية مكان المحلية مما ادى إلى كساد تجارتهم وتردي أوضاعهم(١)، فتجار القطن مثلاً تكبدوا خسائر كبيرة؛ لانخفاض أسعاره حتى لم تعد تغطي سعر التكلفة، أو تسديد الضرائب ومديونيات البنوك(٢). كما سيطر التجار الأجانب على التجارة الداخلية بشكل كبير، فسيطر اليونانيون على البقالات والمقاهي والحانات، والشوام واليهود على تجارة الأقمشة والملابس، والأرمن على بيع السجائر، و الإنجليز على تجارة الفحم والغلال الزراعية، كل ذلك على حساب التجار المصريين حتى كادت أن تنعدم فئتهم في تلك الفترة(٣)، ويمكن وصف الاقتصاد المصري في فترة الحرب بأنه موزعاً بين: الدول الدائنة وبنوك التسليف، والمتنفذين في البلاد، ولعل الرابح الأكبر من غلة مصر في فترة الحرب هم التجار الأجانب وشركاتهم(٤)، وقد ادت الحرب العالمية الأولى إلى كساد كبير وتضرر بالغ للتجارة المصرية بشكل عام(٥).

مما سبق، يمكن بناء عليه موقف التجار المصريين والأجانب من الحرب ومن الإنجليز على النحو الآتي:

أ. **التجار المصريين:** يعدون من أكبر الخاسرين من إجراءات الإنجليز، وعليه سيكون موقفهم ضد المحتل وسياسته رغم قلة حيلتهم، فليس من المعقول أن يقفوا في صف من تسبب في كساد تجارتهم وتردي أوضاعهم، وقد تبلورت مواقفهم الرافضة للإنجليز وما جروه على البلاد من خراب ودمار جراء هذه الحرب؛ عندما قامت ثورة ١٩١٩م فكانوا جزء منها وتُبرز إحدى الوثائق التي كتبها أحد تجار مصر باسمه واسم أهل بلده (شبين الكوم) للسلطان، توضح جانباً من تلك التراكمات التي تسبب فيها المحتل وفرضها على السلطان والحكومة ومنها الوقوف ضد الحركات الوطنية المناهضة للإنجليز، ومن مطالبهم للسلطان: رفضهم لاعتقال الوطنيين، وكتم الحريات، ويهددون بأن تلك التصرفات ستوقد في الناس نار الغضب، ومستعدون لبذل الأنفس والأموال في سبيل ذلك(٦).

ب. **التجار الأجانب:** فهم وبكل تأكيد سيقفون مع الإنجليز؛ لأن مصلحتهم تفرض عليهم ذلك، وليس من المستبعد تقديمهم مساعدات ماليه أو عينية للإنجليز أثناء الحرب.

---

(١) عيسى، شحاته: **الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر**، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة. ص٧١.

(٢) صبري: المرجع السابق.ص٢٣٨.

(٣) لبيب: المرجع السابق. ص ٣٩٤، لطيفة: المرجع السابق. ص١٩٩

(٤) عيسى: المرجع السابق،ص.ص٧٢-٧٣.

(٥) MM٣/١٥

(٦) ENA: E.S.R&T.-١٦٧٥-١٥-٦.

٣.طبقة الفلاحين:

يشكل الفلاحون السواد الأعظم من الشعب المصري، فهم يعملون بالزراعة وتربية المواشي، ويسكنون في القرى على ضفاف النيل، ويعدون العنصر الأساسي في دعم الاقتصاد المصري؛ لاعتماده على الانتاج الزراعي بالدرجة الأولى، وخاصة القطن، وينظر هذا الفلاح الى السلطة بعين الرهبة والانصياع لها[١]، وهم من أكثر طبقات الشعب معاناة فقد تعرضوا للسخرة والإجبار على الأعمال الشاقة مثل بناء الجسور وشق الترع، والعمل في أراضي كبار الملاك بدون مقابل، ففي عهد الخديوي إسماعيل مثلا كانوا يساقون للعمل سخرة في أراضيه وأراضي الدولة [٢].

ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام(١٣٣٢/١٩١٤م) كان الفلاحون أكبر المتضررين منها بسبب انخفاض أسعار القطن بشكل كبير، وارتفاع إيجارات الأرضي، ومطالبة البنوك بسداد قروضها؛ مما اضطرهم إلى بيع مواشيهم ومقتنياتهم ومن لم يستطع الدفع يخسر أرضه للبنك[٣].

ويعد الاحتلال الانجليزي السبب الرئيسي في معاناة الفلاحين؛ فهو المسؤول الأول عن انخفاض اسعار القطن، وتكدس ديونهم فقد كانت قبل الاحتلال لا تتجاوز الديون سبعة ملايين من الجنيهات، وقبيل الحرب وصلت المديونيات الى(٢٢) مليوناً، حيث أصبحوا فريسة سهلة للبنوك والمرابين الأجانب، فقد تصل الفوائد أحياناً إلى(٢٠٠)% وقد يكلفه ذلك نزع ملكية أرضه، وكما اتبع الاحتلال سياسة تكريس الجهل في هذه الطبقة بإبقائهم دون تعليم كافٍ، واقتصار تعليم بعضهم على مبادئ القراءة والكتابة فقط[٤]، ولم يكتف الإنجليز بذلك بل سيطروا على الغلات الزراعية لتموين جيوشهم في فترة الحرب، كما ساقوا حوالي المليون والنصف من الفلاحين والعمال إلى ميدان الحرب لمعاونة جيشهم في تمهيد الطرق وحفر الآبار في سيناء واطراف بلاد الشام، وتجنيدهم في التصدي للقوات العثمانية [٥].

وأهداف الإنجليز واضحة من هذه الممارسات ضد هذه الطبقة، فهم يأخذون القطن منهم بأرخص الأثمان ويبيعونه خارجياً بسعر مرتفع، كما يزودون به مصانعهم في بريطانيا[٦]، فبذلك تتضاعف ارباحهم ويزدهر اقتصادهم على حساب المصريين، كما مولوا جيشهم بالغذاء من

---

(١) صياد، والسعداوي: المرجع السابق.ص٢١٤.

(٢) عباس، والدسوقي: المرجع السابق. ص١٣٤.

(٣) لطيفة: المرجع السابق. ص٢١٩.

(٤) صياد، والسعداوي: المرجع السابق.ص٢١٨.

(٥) عيسى: المرجع السابق.ص١٣٠.

(٦) الدرديري: المرجع السابق. ص٢٣١.

محاصيل مصر الزراعية من قوت المصريين، أما هدفهم من إثقال الفلاحين بالديون؛ فهو لإشغالهم بديونهم وهمومهم عن ممارسات الاحتلال فيصبح هم الفلاح المسكين إيجاد قوته وقوت عياله وسداد ديونه، ولكي يتحكمون بهم كما يشاؤون فجروهم إلى ميادين حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، أما هدفهم من حد نسبة التعليم بينهم لكي تسهل السيطرة عليهم فلو تعلموا وتثقفوا؛ لوعوا ما يدور حولهم وكانوا مناهضين للاحتلال لاسيما أنهم يمثلون الشريحة الأكبر بين شعب مصر.

ولا يمكن الحكم على موقف هذه الطبقة من الحرب في بدايتها بسهولة؛ لكبرها ولتعود الفلاحين على روتين واحد بحياتهم، فالفلاح من منزله الى المزرعة لا يهتم أو يكترث بما يحدث حوله من تقلبات سياسية، وكذلك لقلة تعليميهم وانتشار الأمية بينهم فليس من السهولة بمكان قيامهم بأي عمل مناهض للاحتلال دون قادة لهم من أصحاب الفكر والمثقفين، لذلك استغلهم الإنجليز أيما استغلال، ولكنهم بكل تأكيد يعلمون أن ما حل بهم هو نتيجة ممارسات الاحتلال لبلادهم، فمن الطبيعي أن يكون موقفهم ساخطاً على المحتل، ونتج عن هذا الموقف أنهم كانوا عنصراً هاماً في ثورة عام (١٩١٩م) وعرفوا "بأصحاب الجلاليب الزرقاء"[١].

وقد اتحدت مواقف معظم طبقات الشعب المصري بعد نهاية الحرب وكونت جبهة شعبية كبرى ضد الإنجليز وضغوطهم على السلطان والحكومة، في تجسيد منضم لمواقفهم من الحرب وما ترتب عليها من أضرار لمصر وشعبها، ويتضح ذلك من خلال إحدى الوثائق الموجهة لديوان السلطان من عدة فئات من مكونات الطبقات الاجتماعية في أبو تيج إحدى مدن اسيوط بصعيد مصر وجاء فيها:" نحن علماء وعُمد، ومشايخ، وتجار، وأعيان، ومزارعين، وصنّاع، مسلمين وأقباط ...نحتج على مجيء لجنة ملنر Milner الاستعمارية..." وقد اعربوا عن رفضهم أي مفاوضات معهم، وقد جاء فيها أيضاً قيام تجار تلك المدينة بإضراب احتجاجاً على ذلك[٢].

وهذا الموقف من أهالي هذه المدينة الصغيرة يتفق مع مواقف جميع المصريين المتضررين من الحرب في كل مدن وقرى مصر.

---

(١) عبدالرزاق و الجمل: المرجع السابق، ص٢٨٦.

(٢) ENA:E.S.R&T-١٢٠٨-١٥-٦.

ثانياً: موقف العناصر الوافدة قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى:

تعد العناصر الوافدة إلى مصر في فترة الحرب من أكبر الرابحين منها؛ حيث ساعدهم الإنجليز في السيطرة على التجارة وعلى عصب الاقتصاد المصري في تلك الفترة، مما أدى إلى تضخم ثرواتهم، ونتيجة لذلك دفعتهم مصالحهم وما حصلوا عليه من امتيازات في صنع موقفهم من الحرب وتناولت الدراسة ذلك على النحو الآتي:

١. الأرمن وموقفهم:

موطنهم الأصلي البلاد المعروفة بأرمينية (ارمينيا)، الواقعة في أواسط قارة آسيا، وفي منطقة القوقاز تحديدياً، وسكانها الأصليون من أُصول قوقازية، كما وفدت إليهم هجرات من منطقة البلقان، ويدينون بالمسيحية[١].

أما عن هجرة بعضهم الى مصر؛ فكانت أجزاءً من أرمينيا تحت الحكم العثماني؛ فمن السهولة بمكان تنقل الأرمن بين أقطار الدولة العثمانية؛ حيث انتشروا في اسطنبول وبلاد الشام، وذهب بعضهم الى مصر لما تتميز به من أنشطة اقتصادية مختلفة، فكانت معظم التجارة الداخلية مقتصرة عليهم في القرن التاسع عشر الميلادي[٢].

ويعد عهد محمد علي باشا عهدًا ذهبيا لهم؛ لاعتماده عليهم في إدارة أمور دولته؛ فقد عملوا بالوظائف المرموقة في الدولة، إضافة إلى أعمال التجارة والصيرفة [٣]، وتزايدت الهجرات الأرمنية إلى مصر مع إعلان الحماية الإنجليزية على مصر (١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م)، فقد هرب الأرمن من بلادهم نتيجة لقمع العثمانيون لثورتهم في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي[٤].

والأرمن من الاقليات في مصر، وكانت لهم مصالح تجارية قبل الحرب واثنائها، إضافة إلى أنه كان لهم نصيباً وافراً من الوظائف العليا في الدولة المصرية، وقد احتواهم الإنجليز قبل الحرب بفترة من الزمن واعتمدوا عليهم لتميزهم بإتقان العمل إضافة لتمكنهم من اللغات الاجنبية[٥]، ويرجع تأييدهم للإنجليز في الحرب لعدة اعتبارات منها:

---

(١) رفعت، محمد: تاريخ الجالية الأرمنية في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.١٩٩٩م.ص. ص ٢٤-٢٥-٢٧

(٢) الدوري، والسعداوي: المراجع السابق. ص٢٢١.

(٣) رفعت: المرجع السابق. ص٦٩-٧٠.

(٤) المرجع السابق. ص٤١.

(٥) كرومر: المصدر السابق، ص. ٢٧٤.

دافع المصلحة بالدرجة الأولى للمحافظة على تجارتهم ووظائفهم، إضافة إلى موقفهم المعادِ للعثمانيين فموقفهم مشترك مع الإنجليز في ذلك، وقد استغل الإنجليز ظروفهم الاجتماعية كونهم أقلية مضطهدة بعيدة عن موطنها بكسبهم في صفهم، ونتيجة لكل ذلك فمن الطبيعي أن يسيروا في فلك الانجليز وتأييدهم للحرب.

٢. الشوام وموقفهم:

وهم الوافدون من بلاد الشام إلى مصر، وفي الغالب تطلق لفظة شامي على السوري، واختار الشوام مصر؛ لقربها الجغرافي من بلادهم وما تتمتع به من فرص استثمارية، وترجع اسباب هجرتهم إلى مصر لعوامل اقتصادية وسياسية وطائفية [١].

لا يختلف الشوام عن الأرمن من حيث الموقف من تأييد الانجليز في الحرب، وبنفس الدوافع ؛ لأن للشوام مصالح كبرى في مصر أثناء الحرب فكانوا تجاراً، وموظفين في وظائف مرموقة وخاصة المسيحيين منهم، فكونهم يتحدثون العربية كانوا يتقنون اللغات الاجنبية، والفرنسية تحديدًا كما أنهم يتمتعون بذكاء كبير[٢]، وقد استفاد الإنجليز من قدراتهم في الإدارة خلال فترة الحرب، والجدير بالذكر أن المصريين لا يفضلون التعامل مع الشوام[٣]. ونتيجة لموقف المصريين من الشوام فإن ذلك سيدفعهم وبكل تأكيد إلى الارتماء في احضان الإنجليز؛ لحمايتهم وحماية مصالحهم من أي خطر قد يتعرضون له من المصريين، ويمكن القول أن موقف المصريين منهم قد أسهم أيضاً في صنع موقف الشوام المؤيد للإنجليزي في الحرب، إضافة إلى المصلحة المشتركة مع الإنجليز في توحد موقفهم من العثمانيين .

٣. اليهود الوافدين وموقفهم:

سكن اليهود مصر منذ زمن بعيد قبل الفتح الإسلامي لمصر، واليهود جزءًا من التركيبة السكانية المصرية رغم قلة أعدادهم وتذبذب تواجدهم، ولا يعد اليهود في مصر جالية أو عنصراً أجنبياً بل مصريون يعتنقون دينًا مختلفاً، ومع ذلك كانت أعدادهم قليلة بالمقارنة مع باقي المصريين، وتناقصت أعدادهم منذ الفتح الاسلامي وحتى الحكم العثماني، فعند فتح عمرو بن العاص لمصر كان عدد اليهود حوالي اربعين الفاً [٤].

---

(١) درويش، ماهر: **هجرة الشوام إلى مصر**،[رسالة ماجستير]، جامعة النجاح، نابلس ٢٠٠٣م. ص١١.

(٢) الهواري: المرجع السابق. ص١٦.

(٣) الهواري: المرجع السابق. ص١٦، كرومر: المصدر السابق.ص٢٦٥.

(٤) عبده، قاسم: اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٣م. ص٨٨

وبلغ عدد اليهود في مصر عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٧م) إلى حوالي(٤٣٠٠٠) يهودياً[١]، وتركزوا في الاسكندرية، والقاهرة فيما يعرف بحارات اليهود، وكانت في الغالب أحياء فقيرة، يعملون في محلاتهم التجارية وبعض المصانع، وقد هجرها الأغنياء منهم إلى الأحياء الراقية[٢].

ويتركز الحديث هنا عن اليهود الوافدين في فترة الحرب العالمية الأولى فكانوا من المستفيدين من هذه الفترة؛ لما حصلوا عليه من امتيازات وبحماية من السلطان حسين كامل والإنجليز[٣]؛ فقد وفدوا إلى مصر في مجموعات أغلبها من بلاد الشام قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى، وقِدموا إلى مصر هرباً من ضغوط العثمانيين عليهم، ونتيجة لذلك فقد وصل إلى مصر مع بداية الحرب العالمية الأولى حوالي (١١٢٧٧) يهودياً[٤]؛ حيث رحب بهم السلطان حسين كامل وأمر بتلبية كل احتياجاتهم من سكن ومعيشة وخدمة صحية، والصرف عليهم من الخزينة المصرية[٥]، ويبدو أن تصرف السلطان هذا بضغوط إنجليزية.

ويمكن وصف موقفهم بأنه " انتهازياً" فقد استغلوا موقف الإنجليز المتعاطف معهم ومع الحركة الصهيونية العالمية[٦]، وسخروا ذلك بما يخدم مصالحهم التجارية بالدرجة الأولى؛ فتعظمت ثرواتهم من مصادر مختلفة تحت حماية الإنجليز، ومن هذا الواقع يمكن أن يتشكل موقفهم من الحرب بالوقوف إلى جانب الإنجليز وتأييدهم وربما بدعمهم ماديا، وكل ذلك للحفاظ على مكتسباتهم الإقتصادية والسياسية التي تمخض عنها وعد بلفور(Balfour) عام ١٩١٧م.

٤ .موقف الأتراك:

يتكون الأتراك أو (العثمانيين) في مصر من أعراق مختلفة وهو الاسم الاشمل لأن اغلب العناصر العثمانية ليست تركية خالصة؛ بل من اعراق مختلفة – اكراد وارناؤوط، وبوشناق، وشركس– حيث اندمجوا في الثقافة العثمانية وأصبحوا اتراكاً بالانتماء[٧]، ويلاحظ أنهم ومنذ بداية القرن العشرين انصهروا في المجتمع المصري وأصبح انتمائهم مصرياً، ومع ذلك لا يمكن القول بأنهم تناسوا أنهم أتراكاً حديثي العهد بالتبعية الدينية والإسمية للدولة العثمانية، ويعدون أنفسهم

---

(١) عبدالهادي، جمال: **فتح مصر**، دار النشر والتوزيع الاسلامية، القاهرة. ص١٢

(٢) الدوري، والسعداوي: المرجع السابق. ص٢٢١.

(٣) لطيفة: المرجع السابق. ص١٩٢.

(٤) المرجع السابق.ص١٩٢

(٥) المرجع السابق.ص١٩٢

(٦) أباظة، فاروق: **آغا خان ومهمته في الحرب العالمية الأولى**، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م، ص١٢٨.

(٧) أكمل، أباظة: **الأتراك في مصر وأثرهم الثقافي**، ط١،إرسيكا، اسطنبول، ٢٠٠٦، ص٣.

رعايا لها، ففي عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) عندما توترت العلاقات بين العثمانيين والإنجليز بسبب محاولة الأولى ضم شبه جزيرة سيناء لفلسطين وفصلها عن مصر، قام الأتراك ومعهم المصريين بالمولاة للدولة العثمانية ضد الإنجليز، ورغم فشل هذا التحرك إلا إن ذلك اوغر صدور الأتراك ضد الانجليز[١]، ويمكن وصف موقفهم أثناء الحرب العالمية الأولى بأنهم متعاطفون مع الدولة العثمانية، يميلون الى السلم مالم تتعرض لهم سلطة الاحتلال بما يثيرهم ضدها[٢]، ومن الواضح أن هذا الموقف امتداداً لموقفهم السابق من الإنجليز وتدفعهم إلى ذلك النزعة العرقية والدينية، ويظهر من ميلهم للموقف السلمي في فترة الحرب خوفًا على مصالحهم، فمعظم الأتراك في مصر من كبار الملاك، فرغم تعاطفهم مع الدولة العثمانية؛ إلا أنهم وفي المقابل يخشون على مصالحهم أن تذهب عليهم عند أي خطوة غير مسحوبة قد تثير غضب الإنجليز.

٥.موقف اليونانيون والعناصر الأوروبية الأُخرى:

يعد اليونانيون من أكبر الجاليات الأوروبية في مصر، ففي إحصاء عام(١٣١٤هـ/١٨٩٧م) كان عددهم يقارب (٣٨٠٠٠)[٣]، وتركّز وجودهم في الاسكندرية حتى أن كرومر وصف تواجدهم الكثيف فيها وكأنها بلدًا يونانيًا[٤]، وكانوا يعملون بمختلف الأنشطة الاقتصادية، ومن أهمها: تجارة القطن ، وفتح المقاهي والخمارات، كما استغلوا ظروف الفلاحين الصعبة؛ بإقراضهم القروض الربوية بفوائد كبيرة [٥].

وإلى جانب الجالية اليونانية؛ كانت توجد عناصر أوروبية أخرى من ايطاليين، وفرنسيين، وإنجليز، ويبلغ عددهم إلى جانب اليونانيين عام(١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) حوالي (١٣٧٠٠٠)[٦]. فبطرح عدد اليونانيين والمقدر بحوالي أربعين الفاً يكون عدد باقي الجالية الأوربية حوالي (٩٧٠٠٠)، ومن المرجح أن أغلبهم من الإنجليز؛ لتعزيز وجودهم العسكري في مصر مع بداية الحرب الأولى.

وقد تزايدت أعداد الأوروبيين في مصر منذ بداية القرن العشرين حتى بلغت نسبتهم عام (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) ٣٥%، متخذين من الاسكندرية مركزًا لهم؛ حيث أمسكوا بعصب الاقتصاد فيها وساعدتهم البنوك والشركات وسلطات الاحتلال في بناء الثروات الكبيرة[٧].

تعد هذه العناصر مجتمعة من أكثر الطبقات في مصر استفادة من فترة الحرب العالمية

---

(١) كرومر: المصدر السابق. ص٢١٤.

(٢) أباظة: المرجع السابق. ص ص١٣٨-١٣٩.

(٣) كرومر: المصدر السابق. ص ص ٣٠٤.

(٤) المصدر السابق. ص٣٠٥.

(٥) صياد: المرجع السابق. ص٢٢١.

(٦) أباظة: المرجع السابق. ص١٢٥.

(٧) صياد، والسعداوي: المرجع السابق. ص٢١٨.

الأولى؛ حيث كانت معظم تجارة مصر بأيديهم وكانوا يحظون بالحماية الإنجليزية؛ مما سهل عليهم ممارسة أعمال التجارة والأعمال الحرفية بحرية كاملة مما أسهم في زيادة رؤوس أموالهم، من ذلك يمكن الحكم على موقفهم بأنهم مؤيدون للإنجليز في الحرب؛ لان مصلحتهم تجبرهم على ذلك فلو أخذنا اليونانيين بصفتهم اكثر الجاليات الأوروبية عدداً؛ نجدهم ورغم الصلات القديمة بينهم وبين المصريين إلا أنهم يحتفظون بولائهم لموطنهم الأصلي، شأنهم في ذلك شأن باقي العناصر الأوربية الأخرى، ويسيرون مع السلطة السياسية الأقوى بما لا يتعارض مع مصالحهم(١).

ومما لاشك فيه، أن القوة في فترة الحرب كانت بيد الإنجليز، يقول أحد الباحثين: "...**والمغامرين من يونان وايطاليين وفرنسيين يتحكمون باقتصاد البلاد، ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء مطبلين للحاكم الاجنبي الذي يحفظ وجودهم بهيمنته.**"(٢). من ذلك يظهر مواقف اليونانيين وغيرهم من العناصر الأوروبية المؤيدة دون ريب للإنجليز، والجدير بالذكر أنه كان يوجد أعدادا من الرعايا الإنجليز في فترة الحرب، وبطبيعة الحال فهم موالين وبإخلاص لبلادهم(٣).

ويمكن تلخيص مصلحة الإنجليز من هذه العناصر الوافدة فيما يلي:

١. أن هذه العناصر تمتلك الأموال(٤)، وهذا مفيداً جداً للإنجليزي.
٢. أنهم معارضون للعثمانيين، وهذا يجعلهم أكثر تعاونا مع الإنجليز ضد العثمانيين في الحرب العدو المشترك أثناء الحرب.
٣. أنهم متعلمون وموظفون جيدون متقنين للغات الأجنبية، مما سهل التعامل معهم، وأهلهم لشغل مناصب كبيرة في مصر أبان الاحتلال(٥).
٤. كون هذه العناصر أقليات من عرقيات مختلفة فيمكن للإنجليز الوثوق بهم؛ لأنهم أقلية بحاجة للحماية فبالتالي هم بحاجة للإنجليز، ولا يشكلون أي خطر على عليهم؛ بل على العكس سيكونون موالين لهم، لذلك اعتمد عليهم المحتل وأهمل المصريين، وإن بدر منهم ما يريب فمن السهولة السيطرة عليهم.

---

(١) أباظة: المرجع السابق.ص١٢٨.

(٢) الدرديري: المرجع السابق. ص٢٣٠.

(٣) أباظة: المرجع السابق. ص١٢٩.

(٤) يعد الأرمن واليهود من أصحاب رؤوس الأموال؛ لعملهم بالتجارة وأعمال الصيرفة . للمزيد أنظر: رفعت: **تاريخ الجالية الأرمنية**، ص١٠٧،١٠٨. وأنظر : عبده، قاسم: **اليهود في مصر**، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٣م، ص٨٧.

(٥) لطيفة: المرجع السابق. ص١٩١.

الخاتمة:

بعد أن تناول الباحث لهذه الدراسة، تم التوصل الى النتائج التالية:

١. كان لممارسات الإنجليز قبل الحرب واثنائها تأثيراً كبيراً في تشكيل مواقف طبقات الشعب المصري، والعناصر الوافدة.
٢. كان للمصالح الدور الأكبر في وقوف بعض الطبقات العليا من الشعب المصري والعناصر الوافدة موقف المؤيد للإنجليز.
٣. تأثر بعض الطبقات مثل الفلاحين، والعمال، والتجار من إجراءات الإنجليز ، مما أدي إلى وقوفها موقف الساخط عليهم وعلى الزج ببلادهم في اتون هذه الحرب.
٤. تعد فئة المثقفين من أكثر الفئات نشاطاً في العمل الوطني رغم إجراءات الاحتلال ضدهم، وتزعمهم لحركات الاستقلال بعد نهاية الحرب، وتشكيل الأحزاب الوطنية التي ساهمت في البناء السياسي للدولة المصرية فيما بعد.
٥. استفادة العناصر الوافدة إلى مصر من دعم الاحتلال لهم؛ حيث كونوا ثروات كبيرة، وسيطروا على الوظائف المهمة في البلاد، ويعدون الرابح الأكبر من هذه الفترة، على عكس طبقات عامة الشعب المصري من مثقفين، وتجار، وفلاحين.
٦. تبلور المواقف المعارضة للإنجليز واقحامهم لمصر في الحرب بعد نهايتها بقيام الشعب المصري بثورة (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م).

التوصيات:

١. يحتاج الموضوع لمزيد من الدراسات العميقة، وتناول جوانب مختلفة للحياة الاجتماعية في مصر في هذه الفترة بتفاصيل أكثر، والخروج بدراسات أخرى في مختلف الميادين.
٢. من المؤكد أن لمثل هذه المواقف المتباينة لطبقات المجتمع في مصر أثناء الحرب العالمية الأولى أثاراً على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فيما بعد قد تصل إلى أبعد من العام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، تاريخ إعلان الجمهورية المصرية، وهذا ميدان جدير بالبحث والدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

- **١. الوثائق:**
- – وثيقة ، دار المحفوظات، سراي عابدين، رقم ٣٤، في ١٩١٤/٤/٥م.
- – ديوان رئاسة الوزراء، دفتر وارد، أرقام ٢٢٩٧،٢٥٢٧،٢٥٨٢، من ٢٣مارس١٩١٥ حتى٢٩مايو١٩١٧م. (وثيقة منشورة: لطيفة، محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الاولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م/ ص٢٣٩.)
- – Egyptian National Archives: E.S.R.&T.-١٦٧٥-١٥
- – ENA :E.S.R. -٢٣٠٠-٤-٥-١٠٠-٢٠٠٠
- – ENA : E.S.R&T.-١٢٠٨-١٥-٦
- – Documents of Muhammad Mahmud Pasha: MM٤٤/٤
- – DMMP : MM٣/١٥
- – DMMP: MM٩/٤٢
- –

المصادر والمراجع:

- **أباظة، فاروق: آغا خان ومهمته في الحرب العالمية الأولى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.**
- **أكمل، أوغلو: الأتراك في مصر وأثرهم الثقافي، ط١،إرسيكا، اسطنبول، ٢٠٠٦م.**
- **الخديوي، عباس حلمي، عهدي(مذكراته)، ط١**، دار الشروق، القاهرة١٩٩٣م.
- الدرديري، عمر: **الحرب العالمية الأولى عرض مصور**، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
- درويش، ماهر: **هجرة الشوام إلى مصر**،[رسالة ماجستير]، جامعة النجاح، نابلس ٢٠٠٣م.
- الرافعي، عبدالرحمن: **ثورة ١٩١٩م تاريخ مصر القومي من (١٩١٤/١٩٢١م)**، دار المعارف، ط٤، القاهرة، [د.ت].
- الزركلي، **الاعلام**، ج٢، دار العلمين، بيروت٢٠٠٢.
- زكي، احمد، **كلمة علي رياض باشا**، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٢م.
- السيد، لطيفة: **مصر في الحرب العالمية الأولى**، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.
- صبري، محمد: **تاريخ مصر الحديث**، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦م.

- أبو عرجة، تيسير: **المقطم جريدة الاحتلال البريطاني بمصر**، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٠.
- عباس، رؤوف، والدسوقي، عاصم : **كبار الملاك والفلاحين في مصر(١٨٧٣/١٩٥٢م)** [د.ن]، [د.م].
- عبد الرزاق، عبدالله، والجمل، شوقي: **تاريخ مصر والسودان الحديث**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عبده، قاسم: **اليهود في مصر**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م.
- عيسى، شحاته: **الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر**، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، ٢٠١٥م.
- عيسى، شحاته: **الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر**، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- فهمي، زكي، **صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.
- كرومر: **مصر الحديثة**، مج٢، ترجمة [صبري محمد حسن] ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥م.
- لبيب، يونان: **المرجع في تاريخ مصر الحديث**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- هيكل، محمد حسنين: **تراجم مصريه وغربية**، مؤسسة هنداوي، القاهرة ٢٠١٢م.
- مورو، محمد: يا اقباط مصر انتبهوا، المختار الاسلامي، القاهرة[د.ت].

- ٣. الدوريات:

- الهلال: ج٤، س٢٣، عدد يناير١٩١٥م.

- الوقائع المصرية: مكتبة الإسكندرية، ١٩/١٢/١٩١٤م.

- http://modernegypt.bibalex.org/NewTextViewer.aspx?TextID=DC_٢٠٠٩٨&keyword=١٩١٤#

- المقطم: عدد٣/٣/١٩٥٢م.

Resources and references:

١) Abaza, Farouk: The Aga Khan and His Mission in the First World War, Dar Al Ma'arif, Cairo ١٩٨١.

٢) Akmal, Ihsanoglu: The Turks in Egypt and Their Cultural Impact, ١st Edition, IRCICA, Istanbul, ٢٠٠٦ AD.

٣) Al-Dardiri, Omar: The First World War, a photographer's presentation, Dar Al-Alam Al-Mali'a, Beirut, ٢٠٠٢.

٤) Darwish, Maher: The Emigration of the Shawam to Egypt, [Master Thesis], An-Najah University, Nablus, ٢٠٠٣.

٥) - Al-Rafi'i, Abd al-Rahman: The Revolution of ١٩١٩, The National History of Egypt from (١٩١٤/١٩٢١ AD), Dar Al-Maarif, ٤th Edition, Cairo, [dt].

٦) - Zaki, Ahmed, Word of Ali Riad Pasha, Hindawi Foundation, Cairo ٢٠١٢.

٧) - Al-Sayed, Latifa: Egypt in the First World War, Dar Al-Shorouk, Cairo, ٢٠٠٩.

٨) - Sabry, Muhammad: Modern History of Egypt, ١st Edition, Egyptian Book House, Cairo ١٩٢٦.

٩) Abbas, Raouf, El-Desouki, Assem: The Great Landlords and Peasants in Egypt (١٨٧٣/١٩٥٢ AD) [dn], [dm].

١٠) - Abd Al-Razzaq, Abdullah, and Al-Jamal, Shawky: Modern History of Egypt and Sudan, House of Culture for Publishing and Distribution, Cairo, ١٩٩٧.

١١) Abdo, Qasim: The Jews in Egypt, Dar Al-Shorouk, Cairo, ١٩٩٣ AD.

١٢) Issa, Shehata: The Black Book of British Colonialism in Egypt, Egyptian Ministry of Culture, Cairo, ٢٠١٥.

١٣) Issa, Shehata: The Black Book of British Colonialism in Egypt, Egyptian Ministry of Culture, Cairo, ٢٠٠٢.

١٤) - Fahmy, Zaki, The Elite of the Era in the History and Drawings of Famous Men of Egypt, Hendawy Foundation, Cairo, ٢٠١٢.

١٥) - Cromer: Modern Egypt, Volume ٢, translated by [Sabri Muhammad Hassan], National Center for Translation, Cairo, ٢٠١٥.

١٦) Labib, Greece: The Reference in Egypt's Modern History, Supreme Council of Culture, Cairo, ٢٠٠٩ AD.

١٧) Heikal, Mohamed Hassanein: Egyptian and Western translations, Hindawi Foundation, Cairo ٢٠١٢.